التراث الشعبي والتنمية، بحث في العلاقة.

عريف عبد الرزاق
جامعة قاصدي مرباح ورقلة(الجزائر)
حليلو نبيل
جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

ملخص:

هل من علاقة بين التراث الشعبي والتنمية ؟ تبحث هذه الدراسة في جانب من نقاط التقاء الثقافة بالتنمية عبر واحد من ابرز مكوناتها وهو التراث الشعبي ،هذا الأخير الذي يشغل حيزا معتبرا في المخيال المجتمعي والذي يمتد زمنيا ليشمل الأبعاد الزمنية الثلاث الماضي،والحاضر ،والمستقبل أيضا،باعتبار هذا الأخير تتويجا لحركة الزمنين المتقدمين عليه. ولأن التراث الشعبي مجال واسع يصعب حصره فقد اخترنا منه المثل الشعبي مستعملين إياه كمقياس نقيس من خلاله مدى حضور التنمية فيه عبر عدد من القيم أطلقنا عليها مسمى تنموية رأينا أن لها ارتباطات وثيقة بالتنمية كفعل تغييري متكامل يستغرق كل الجوانب النفسية والاجتماعية والاقتصادية ،كل ذلك من خلال عملية بحثية تستقصي تمثل التنمية في أذهان الناس المزمع تنميتهم ،وذلك قبل الانطلاق نحو استنبات المشاريع التنموية،إذ منطلق التنمية الإنسان والأذهان قبل أن تكون أي شيء أخر.

الكلمات المفتاحية : التنمية، التراث، القيم، التراث الشعبي.

Résumé :

Y at-il une relation entre le folklore et le développement? Cette étude sur le côté de la confluence des points de développement de la culture à travers l'un des composants les plus importants d'un folklore, cette dernière course de l'espace, compte tenu de l'imagination de la communauté et qui se prolonge dans le temps pour inclure le dernier des trois dimensions du temps, le présent et l'avenir aussi, comme ce dernier point culminant d'un mouvement du deux temps candidats it . Parce que vaste champ de folklore ancrage difficile nous a choisi parmi les utilisateurs populaires proverbe lui comme une mesure de référence, dont l'étendue de la présence de son développement à travers un certain nombre de valeurs que nous appelons le nom du développement, nous avons vu qu'il a des liens pour documenter le développement en tant que modulateurs du verbe intégré prendre tous les aspects psychologiques, sociaux et économiques, tout au long de la recherche explore le processus représente un développement dans l'esprit des gens à être leur développement, avant le déménagement vers des projets de développement de l'élevage, comme la base du développement humain et de l'esprit avant qu'ils ne soient rien d'autre.

Mots clés : le développement, le folklore, les valeurs , le folklore populaire

أولا : إشكالية الدراسة

يقول عالم الاجتماع الفرنسي جابريال لوبرا: " إن التنمية ليست ظاهرة اقتصادية صرفة، وإنما هي مجموعة من الظواهر من نوع مختلف، ذات طبيعة سوسيولوجية وسيكولوجية"، وهذا يرد على تحاليل كارل ماركس التي ترتكز نظرتها للتنمية إلى الحتمية الاقتصادية التي تذهب إلى أن العامل الاقتصادي هو المحدد الأساسي لبناء المجتمع وتطوره.

ويصل التركيز على أهمية المحددات الثقافية في العملية التنموية درجة قصوى عند اعتبارها عائقا أو معوقا انطلاقا من اعتبارها مرجعية للسلوك الفردي، ومحركا للسلوك الجمعي، فإذا كانت هذه المحددات جامدة شكلت عائقا لبرامج التنمية على كل المستويات وبالأخص على مستوى التنفيذ، وهنا تتبدى العلاقة بين الثقافة والتنمية، فتصبح الثقافة بالنسبة للتنمية بمثابة شرط وعامل في نفس الوقت.

وإذا أتينا على تفكيك هذا الكل الذي يسمى ثقافة إلى عناصره، سنجد من بين أهم عناصره " التراث الشعبي" والذي يشير إلى ذلك الكل المتشابك من الموروث الحضاري والسلوكي والقولي والذي يضم الممارسات الشعبية السلوكية والطقسية والفولكلور والأدب الشعبي المدون والشفهي، وما يدخل فيه من الأمثال والحكايا والأشعار والأساطير والخرافات والمعتقدات ... الخ. فالتراث الشعبي يشكل رافدا ثقافيا ومكونا أساسيا من مكونات المجتمع، فإذا نظرنا إلى المجتمع نظرة تحليلية سنجد انه يتكون من مجموعة من النظم الاجتماعية كالنظام الاقتصادي والسياسي والديني والأسري... ويتكون كل نظام من قيم معينة تحدد هويته، ويعكس النظام هذه القيم في مجموعة من المعايير التي قد تكون مكتوبة فتأخذ شكل القوانين أو غير مكتوبة فتأخذ شكل العرف أو التراث، انه يمثل بشكل من الأشكال صوت الضمير الجمعي، -بلغة دوركايم- ودرجة تبني المجتمع لهذا الكل تكشف عن المسار الذي ينتهجه هذا المجتمع .

وتزداد أهمية التراث الشعبي إذا علمنا أن الفرد يتشرب ثقافة مجتمعه، بما فيها التراث الشعبي في مراحل نمو شخصيته،. ولما كان التراث الشعبي بهذه المكانة وعلى هذا القدر من الأهمية فإننا أجزنا لأنفسنا أن نبحث فيه، وتحديدا في واحد من مكوناته -وهو المثل الشعبي- عن قيم تنموية، وان نمارس في ذلك نوعا من نقد الذات عبر البحث في هذا التراث فنحاول ربط الظواهر بأسبابها إذا صح أن نعتبر التخلف ظاهرة، وذلك بالبحث عن أسباب التخلف في مكونات ثقافتنا، ومن بينها التراث الشعبي، متخذين من المثل الشعبي سبيلا، فالمثل الشعبي يركز على السلوك البشري في موقف ما إذا ما واجه حالة مشابهة للحالة التي يكون عليها الإنسان، انه يتوجه إلى السلوك الإنساني يحكم عليه ويوجهه في بعض الأحيان، وهو بهذا المعنى يكاد يقترب ويلتقي مع الطرح الفيبري حول السلوك الرشيد، وفي سبيل تحقيق هاته الغاية طرحنا التساؤل التالي:

- ما مدى حضور قيم التنمية في المثل الشعبي بوصفه ممثلا عن التراث الشعبي بمنطقة بسكرة؟

وجاءت الإجابة عن هذا التساؤل عبر دراسة ميدانية طبقت على عينة من الأمثال الشعبية المتداولة في المجتمع الجزائري مستخدمين في ذلك منهج تحليل المضمون .

ثانيا :أهمية موضوع الدراسة

إن تناول التراث الشعبي بالدراسة وربطه بمتغير التنمية يعني إقحامه في معادلة التنمية عبر إعادة موقعته ليتجاوز دائرة المحنط، وينخرط في التنمية وفق رؤية جديدة قوامها التنمية المستدامة تلك التنمية التي تأخذ في الاعتبار الاهتمام بالسكان ونوعياتهم ومهاراتهم، وأكثر من ذلك مخيالهم، إذ السؤال الأهم قبل بدء العملية التنموية هو الأتي : من ننمي؟ أي معرفة مع أي مجتمع نتعامل، وسؤال كهذا حتما ستكون احد مداخله التراث الشعبي ذلك المكون الهام الذي يشمل القصص الشعبية الملاحم السر الشعبية، الأساطير ، الألغاز، النوادر، الحكم ، الأمثال الشعبية...الخ، وهذه جميعها تشكل مفاتيح لإدراك سيكولوجية المجتمع المنمى (أوهامه ، آماله، مخاوفه). كما أن أهمية الموضوع البحثي تكمن في كونه يطرح سؤالا مهما هو التالي: هل تتجسد معالم القيم التنموية في تراثنا الشعبي؟ وهناك معبر آخر يمكن أن ندلل

عبره على أهمية موضوع البحث وهو ما تعلق بالقناة التي سيجري من خلالها اختبار حضور قيم التنمية ألا وهو ا لمثل الشعبي ،فهذا الأخير "يشكل جزءا من يوميات الناس ،فهو أقدر على تصوير العلاقات الاجتماعية المعقدة ،أقرب إلى الصدق في التعبير عن التناقضات الحياتية "1 فهو يتناول كل شيء تقريبا يتصل بالحياة ،فتراه يعالج الأخلاق و التوجيه و التربية و السخرية و التهكم .. 2كما أن له من الوزن ما يقترب به من صفة الإلزام ،فعلى الرغم من أن " ليس هناك إلزام أو إكراه يلزم الفرد على ضرورة الالتزام بتطبيق المثل ،ولكن توجه العامة و احترام قيم الجماعة التي درجت عليها يجعل ذلك الإلزام ضمنيا "3

ثالثا : الإطار المفهومي للدراسة

1/مفهوم التنمية: يعتبر مفهوم التنمية من المفاهيم غير القارة نسبيا فقد خضع دوما لتأثيرات حقول معرفية كثيرة كالاقتصاد والسياسة والاجتماع، فمن مسحة اقتصادية بحتة إلى تعريف شبه اجتماعي إلى تأثر بمقولات الحرية، والاستدامة، البيئة وهكذا.و على الرغم من مرور فترة طويلة على نحت هذا المفهوم في الساحة العملية إلا أن الإجماع حوله بقي مفقودا، ونعتقد أن مرد ذلك اختلاف الرؤية الإيديولوجية والاقتصادية والعلمية، فمثلا في الدول المتقدمة تدل التنمية على استغلال الموارد البشرية والمادية للوصول إلى مستويات اقتصادية واجتماعية أكثر ارتفاعا، أما في الدول النامية فتتمركز حول اللحاق بالمستويات الاجتماعية والاقتصادية للدول المتقدمة 4 بينما تعرفها الأمم المتحدة بأنها عملية تصميم كتهيئة الظروف الملائمة للتقدم الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع ككل، وهي تعتمد على مشاركة المجتمع إلى أقصى حد ممكن.4

أما تعريفنا للتنمية في هذه الدراسة فنسوقه كما يلي: هي عملية تغيرية مخططة ومستدامة، وشاملة لكل الفئات المجتمعة تأخذ في الاعتبار كل الجوانب الاقتصادية والسياسية والثقافية وبالأخص الشعبية(الجماهير)، تهدف إلى تغيير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والانتقال بها في أقصر وقت ممكن من الوضع الحالي إلى وضع أحسن من استغلال كل الموارد المتاحة استغلالا عقلانيا لا يضر بالبيئة ولا يستنزف حقوق الأجيال اللاحقة، الركيزة الأساسية لهذه العملية هي المورد البشري وأساسها مشاركته الفعالة في كل البرامج التنموية.

2/مفهوم التراث الشعبي : التراث الشعبي أو الفولكلور كلمة تتكون من مقطعين Folk بمعنى الناس و Lore بمعنى حكمة أو معرفة، وعليه يكون المعنى الحرفي معارف الناس أو حكمة الشعب.5 وقد كان للأثري الانجليزي وليام جون تومز W.J.Thoms فضل نحت واستدخال هذا المصطلح عندما أرسل خطابا إلى مجلة اثينيوم يقترح فيه تبني كلمة (فولك- لور) Folk-lore بديلا عن الآثار الشعبية Popular antiquities وان كان السبق النسبي للباحثين الألمان الذين كانت بذور اهتمامهم بهذا النوع من الأبحاث منصبة حول ما وصفوه بأساليب معيشة الطبقات الدنيا البدائية في المجتمع المتحضر ذو التركيب الاجتماعي المعقد6.أو ما اجتهدت المحاولات والترجمات العربية على تسميته بالراق الأدنى.ويتسع مجال التراث الشعبي في المدرسة الجرمانية ليغطي ما أسموه فولكلور الحاضر، والذي يعني التركيز على عادات وأفكار الشعب في الوقت الحاضر، وكذا فلكلور المدينة الكبيرة Volks kunde grosstadt ، وهي الدراسة الثقافية للمدن الكبرى7. وفي فرنسا يقترب معنى التراث الشعبي من المدرسة الانجلوساكسونية ليشمل المأثورات الشعبية الأدبية، وان كان في بعض الأحيان يستخدم في اللغة الفرنسية للتعبير عن أشياء غير جادة أو استهزائيه عندما يقال على السبيل المثال هذا من باب الفلكلور أي من بابا الطرافه.

بالعودة إلى التراث الشعبي كموضوع للبحث، لا كميدان علمي نجد تومز Thoms باعتباره أول من صاغ تعريفا له، يعرفه بقوله: " العقائد المأثورة وقصص الخوارق والعادات الجارية بين الناس والعامة، وكذلك ما انحدر عبر العصور من السلوك والعادات والتقاليد المرعية، والمعتقدات الخرافية والأغاني الروائية والأمثال الشعبية وغيرها8.

ويعرفه طومسون: " انه شيء ينتقل من شخص إلى آخر، وحفظ إما عن طريق الذاكرة أو بالممارسة أكثر مما حفظ عن طريق السجل المدون، ويشمل الرقص والأغاني والحكايات وقصص الخوارق، والمأثورات والعقائد والخزعبلات (المعتقدات الخرافية) والأقوال السائرة للناس في كل مكان ، كما يشمل كذلك دراسة العادات والممارسات الزراعية المأثورة، والممارسات المنزلية وأنماط الأبنية وأدوات البيت والظواهر التقليدية للنظام الاجتماعي9.

3/مفهوم المثل الشعبي : يعرفه إبراهيم أبوسنه في مؤلفه فلسفة المثل الشعبي،: جملة أو جملتين تعتمد على السجع وتستهدف الحكمة والموعظة"10.

ويعرفه فوزي العنتيل بقوله:" قول تعليمي مأثور يمتاز بجودة السبك و بالإيجاز انه حكمة المجموع وفطنة الواحد، ومعظم الأمثال الشعبية تعبيرات مجازية عن الحياة اليومية"11.

على الرغم من ادعائهما تعريف المثل الشعبي إلا أن كلا من التعريفين اسقطا أهم عنصر وهو صفة الشعبي التي بدت غائبة ولم تظهر، ولذلك نورد تعريفا آخر يدعي انه يقترب بنا من صفة الشعبي تلك وهو التعريف الآتي:

" المثل الشعبي تقطير أو تلخيص لقصة أو حكاية، ولا يفهم معنى المثل الشعبي إلا بعد معرفة القصة أو الحكاية التي يعبر المثل الشعبي عن مضمونها"12. وحول هذا التعريف يرى التلي بن الشيخ انه لا يمثل المثل الشعبي تمثيلا دقيقا، بل يراه شكليا من منطلق عدم إشارته إلى مغزى المثل، وأكثر منه فان اعتبار المثل تقطير لقصة أو حكاية لا يتطابق مع الواقع، فعدد الأمثال الشعبية كبير جدا بينما عدد القصص الشعبية محدود13، بمعنى أن عدد القصص الشعبية اقل من عدد الأمثال الشعبية، أي أن قاعدة لكل مثل قصة لا تصدق دائما.

محاولة اقرب إلى الإحاطة بحقيقة المثل الشعبي، هي هذه التي نوردها: " المثل الشعبي جملة مفيدة موجزة متوارثة شفاهة من جيل إلى جيل (...) شائعة الاستخدام عند مختلف الطبقات، وهو يستخدم الإيجاز والإبداع والإيحاء مرة والصراحة مرات بألفاظ دارجة ولغة محكية، يعتبر صورة المجتمع بشكل عام، وصورة مصغرة عن قائله ، متفقا مع العادات والتقاليد والمثل، ومعبرا عن أراء الناس".14

رابعا : مجال الدراسة

شكلت ولاية بسكرة بجهاتها الأربع (شمال،جنوب،شرق،غرب) المجال المكاني لهذه الدراسة.

خامسا : عينة الدراسة

تناولت الدراسة بالتحليل 688 مثلا شعبيا.

سادسا : منهج الدراسة .

منهج تحليل المضمون : يعرف برلسون تحليل المضمون أو كما يسميه تحليل المحتوى بقوله " تقنية بحث من اجل الوصف الموضوعي والمنتظم والكمي للمحتوى الظاهري للاتصال"15

لقد قادنا استعمال هذا المنهج إلى الكشف عن مدى حضور قيم التنمية كتصور وأسلوب حياة في المثل الشعبي، كما سمح باستقصاء حيثيات دقيقة تتعلق بهذا الحضور من سبيل الأهمية بالدرجة الأشد تمثيلا، وجميع هذه المفاصل شكلت المحاور الكبرى التي سعت الدراسة إلى الإجابة عنها. إجرائيا تم التركيز من خلال هذا المنهج على الكلمات والأفكار ذات المعاني المتكررة في مضمون المثل الشعبي، وربطها بعنوان البحث وتساؤلاته، ليتم بعد ذلك تحويل تلك الكلمات والأفكار إلى قيم رياضية، بما يتوافق والتساؤلات المطروحة، ثم جرى بعد ذلك ترتيبها تسلسليا في جداول تشتمل على التكرارات والنسب المئوية لكل منها وتم حساب ذلك وفق الصيغة التالية: المجموع الجزئي/ المجموع الكلي × 100 = ..%. أما استخدامنا لهذا المنهج فقد جاء انطلاقا من تقديرنا كونه الأكثر ملائمة لموضوع الدراسة و هو القيم وتحديدا قيم التنمية في التراث الشعبي، المثل الشعبي نموذجا. واعتمادنا هذا المنهج كان بناءا على أن القيم المحتواة في

المثل الشعبي كمادة تحليل تمثل بصمة للحياة الجماعية لا يمكن تتبعها إلا عبر هذا المنهج الذي يشكل مجهـرا لفحـص المجال الذهني الجماعي متوخين قدر الإمكان الوقوف على الظاهر والمستتر في هذا المجال، وإن كان اقتحـام و تتبـع القيم أمر صعب فإن اقتفاؤها في التراث الشعبي و في المثل الشعبي تحديدا يصبح أكثر صعوبة.

سابعا : حدود الدراسة

1. الاقتصار على استقصاء وتحليل المثل الشعبي البين الشعبية باللهجة المحلية الدارجة الشائع استخدامها في المنطقـة محل الدراسة(منطقة بسكرة) ، فلا يدخل ضمن نطاق الدراسة والتحليل الأمثال الفصيحة وغير المنطوقـة باللهجـة المحلية (العربية الدارجة أو العامية) فالأمثال الامازيغية مثلا لا تدخل في نطاق الدراسة والتحليل .
2. تتحدد عملية التحليل في استخراج قيم التنمية من خلال الأفكار الدالة عليها في المثل الشعبي .
3. استخلاص القيمة التنموية يمكن أن يكون بشكل غير مباشر (أي تلك القيم التنموية المستترة).

ثامنا : صنافة القيم .

هدف هذه الإجراء إلى إعداد مصنف بالقيم المراد اختبار حضورها في المثل الشعبي والتي أطلقنا عليهـا قيمـا تنموية وكانت على شكل مجموعات كما يلي :

1- مجموعة القيم الاجتماعية : الرعاية الأسرية ، الكرم ، الصداقة ، التكافل الاجتماعي ، ، التسامح ، الطاعة.

2- مجموعة القيم الذاتية : الصحة ، الشجاعة ، الذكاء ، الكرامة والأنفة ، الحنان والرأفة ، الأدب، المرح.

3- مجموعة القيم السلبية : الكسل،الحظ،الأنانية،التبذير،التواكل،الانتقام،الانهزامية،النفاق،العصبية(الروح القبلية)،الجمـود والقدرية،الحذر السلبي،التشاؤم .

4- مجموعة القيم السياسية : حب الوطن ، التضحية ،الشورى ، الحرية .

5- مجموعة القيم الأخلاقية: الخير ،الصدق ، التدين وحسن الخلق ، العدل ، الصبر،التواضع، القناعة .

6-مجموعة القيم التنموية : تحمل المسؤولية ، المشاركة والروح الجماعية ، تقدير الوقت ، المغامرة والتغيير ، العمل ، التخطيط ، الادخار ،الاستثمار ، الجد والمثابرة ،التفاؤل والطموح الإصرار و المثابرة .

تاسعا : نتائج الدراسة

لقد كان مبتدأ هذه الدراسة تساؤل صريح يبحث فيما إذا كان التراث الشعبي بصفة عامة يحتوي على عناصـر تنموية يمكن أن تكون دافعة نحو التنمية،وقد تخصص المثل الشعبي في هذه الدراسة كممثـل عـن التـراث الشـعبي للإجابة على ذلك،ومن خلاله اتضح أن المثل الشعبي المتداول بمنطقة بسكرة يحوي عددا مقبولا جدا من القيم التنموية و شاهد ذلك من الدراسة المعطيات الرقمية الكثيرة و الكبيرة التي كانت لصالح القيم التنموية بحيث أن مجموعة القيم التنموية احتلت المرتبة الأولى و بحضور قوي فاق ثلث القيم المحتواة في كل الأمثال الشعبية لعينة الدراسة بلغـت نسبة نصيب القيم التنموية 32.55%.وفي ذات السياق الخاص بالمحتويات نسجل أن المثل الشعبي كان علـى درجـة كبيرة من التنوع بحيث حوا إلى جانب القيم التنموية كل القيم المعلن عنها في صنافة القيم و تمتع بتصوير دقيق لها ،مع ملاحظة حضور السياق الاجتماعي بقوة و تلك خصيصة الروح الجمعية حيث أن استحضار المثل الشعبي فـي موقف ما يشكل قمة التماهي مع الروح الجماعية .إذ المثل الشعبي لا يتوقف عند التجربة الفردية على الرغم من أنه ينطلق منها بل أن تلك التجربة تنقضي فرديتها لحظة تقبل و استدخال المثل في المنظومة المثلية الشعبية وهذا التحـول يمنحها سلطة واسعة تكشف عن نفسها عادة بعبارة **قالوا الأولين** و هي العبارة التي تسبق دومـا الاستشـهاد بالمثـل الشعبي إلى جانب عبارة **قالك.**

إن هذه الخصيصة تكشف عن مقدار الاستثمار الذي يمكن أن يحصل في القيم التنموية من منطلق تمتعها بتلك السلطة التي من شأنها أن تفسح الطريق أمامها دون عناء و هو ما يعني تثبيت قدر معقول من قيم التنمية و التحديث ،كما كشفت مدى قصور و خطأ الزعم العنصري الذي يصنف الثقافات إلى موجبة و سالبة ،دافعة للتنمية و التحديث و رافضة لها .و هي المزاعم التي وقفنا عليها و استنتجناها من مقولات **ماكس فيبير** و كذلك **دافيد ماكللاند** وغيرهما من منظري المدرسة الغربية باستثناء بعض المنصفين منهم إلى حد ما مثل **كلود ليفي ستروس** الذي حاول أن يؤكد نسبية الثقافة و حاول الخروج عن النمطية التطويعية في دراسته و فهم الثقافات غير الأوروبية ،تلك النمطية التي تضع ثقافة الآخر في قالب ثقافة الأوروبي فإن لم يتماثل معها اعتبر نشازا ثقافيا.كما خلصت الدراسة إلى أن التراث الشعبي يحتوي جوانب إيجابية عديدة و أنه على الرغم من احتوائه على جوانب سلبية إلا أن إيجابياته تلك تغلب على سلبياته و عليه فإنه لا يشكل معوقا في سبيل التنمية ،و بالمقابل كشفت دراستنا التحليلية عن أن الأمثال الشعبية بمنطقة بسكرة تمتزج بها القيم الإيجابية وهي القيم التنموية و كذا باقي القيم الأخرى الاجتماعية الأخلاقية السياسية و الذاتية بالقيم السلبية كما كشف الحضور القوي للقيم التنموية في الأمثال الشعبية عن قدر من التواصلية الاجتماعية أو ما يمكن أن نطلق عليه التوارث القيمي خاصة لمفهوم قيمة العمل التي بدت - بغض النظر عن وزنها النسبي الجيد- حاضرة بنفس الزخم المفهومي التراثي المتواصل على نفس الشاكلة و لمسنا ذلك من خلال معرض مقارنتنا للأسلوب الصياغي بين الفئات العمرية بالأخص الحدين أو الطرفين و نقصد بهما الفئة العمرية الدنيا[16-25] و الفئة العمرية الكبرى أو القصوى [66-75] ،حيث تشابه التعبير عن هذه القيمة إلى حد كبير بين الحديث شكلا و محتوى فحضرت القيمة التنموية(العمل) بنفس الأمثال بينهما و اختلفت التعابير عن قيم أخرى اختلافا جليا .

كما كشفت الدراسة عن تموقع خاص ومميز جدا للقيم التنموية بحيث احتلت مواقع متقدمة بنسب مئوية معتبرة أهلت مجموعة القيم التنموية لأن تعتلي ترتيب المجموعات القيمية بحيث جاءت في المرتبة الأولى وحضرت ثلاث قيم منها وهي التخطيط والعمل والمبادرة ضمن القيم العشر الأولى لإجمالي القيم في الأمثال الشعبية و قد أهلها هذا لاحتلال مواقع مهمة جدا وجعل حضورها متميزا جدا. ويؤكد ذلك بروز ثمان(08) قيم تنموية من أصل اثني عشر قيمة ضمن قائمة القيم السائدة في الأمثال الشعبية و التي حوت ثلاث و عشرون(23) قيمة أي أنها استحوذت على أكثر من ثلث القيم السائدة. ،ولقد سجلنا نوع من التكتل الثنائي للقيم التنموية ،حيث كان حضور بعض القيم متلازما مثلما هو الحال مع العمل والتخطيط ،وثنائية الاستقلالية وتحمل المسؤولية والإصرار والمثابرة وأيضا المغامرة والتغيير، والتقشف و كذلك المشاركة والروح الجماعية و الادخار وكل منها حضر متلازما بنفس الوزن النسبي و نفس المرتبة تقريبا.

على صعيد ألأهمية كشفت الدراسة عن تموقع ضعيف وغير جيد لأحد أهم القيم التنموية على الإطلاق و هي قيمة تقدير الوقت التي قبعت في المرتبة (22) بوزن نسبي لم يتجاوز 2.18% ومعلوم الأهمية القصوى لهذه القيمة في تحقيق التنمية فهي تكشف على درجة الوعي بالحيز الزمني من قبل الفرد و مقدار إدراكه أن الوقت هو الرأسمال الحقيقي ،و كنا قد أشرنا إلى أهمية قيمة تقدير الوقت أثناء إعدادنا لصنافة القيم ،و رأينا أن هذه القيمة كانت حاضرة بقوة في الأعمال التي تناولت الحديث عن التنمية و التحديث بشكل صريح أو ضمني سواء عند ماكس فيبر الذي حضرت عنده بشكل ضمني ،فقيم النظام و الترتيب والرشادة أو الواقعية كلها قيم تستلزم حدا من التحكم في الوقت و تقديره والاستثمار فيه ،أو بشكل صريح كما رأيناها عند مالك بن نبي الذي ركز على هذه القيمة تركيزا كبيرا وساقها في نظريته الشهيرة حول مقومات الحضارة وهي تباعا الإنسان، التراب، الوقت، وما قيل عن هذين النموذجين ينسحب على باقي النماذج التي استعرضنا مساهمتها حول قيم التنمية و التحديث . إن تحليل بعض الأمثال الشعبية التي تناولت قيمة تقدير الوقت أفصح عن أن ذاك التقدير مرتبط بشكل كبير بشؤون الممارسة الحياتية اليومية ،كما كشف

في الوقت نفسه عن ملامح البيئة الأصلية للمثال –وهذا جانب آخر يستحق المتابعة السوسيولوجية .في دراسة مستقلة – ومثال ذلك المثل القائل **كي تعود الفحلة تذوب تعود الخالية تروب.** بمعنى أنه في الوقت الذي تكاد تنتهي فيه المرأة النشيطة من تحضير السمن التقليدي تكون المرأة الكسولة في بداية مراحل التحضير .وفي هذا المثل حث واضح على وجوب استغلال الوقت وتقديره أحسن استغلال،ومثله من الأمثال الشعبية نذكر:

- **بكر تاكل السفنج**
- **اللي فاتو بكري يروح يكري.**
- **الي فاتو وقتو ما يطمع في وقت الناس.**

وهذا المثل الأخير يحث على حسن استغلال العمر ككل باعتباره مجموعة أوقات.

و ما يمكن أن نستشفه أن الوقت حضر كقيمة مطلقة أما كتقدير دقيق ومضبوط فقد كان حضوره محتشما ،ولم تعبر عنه وفق ذاك التصور إلا أمثال قليلة جدا من بينها :

اضرب الحديد وهو حامي .

ويمكن أن نلمس ظاهرة التساهل في تقدير الوقت أو حتى في التحقيب الزمني من خلال سياقات التفاعل الاجتماعي اليومي فالمواعيد لا تضبط بالساعة بقدر ما تضبط بمرحلة زمنية كاملة قد تتسع لتشمل نصف اليوم في بعض الأحيان ،فيقال نلتقي بعد الظهر أو في المساء أو موعدنا بعد غد، أما إذا كان الموعد بعيدا نسبيا فإننا نجده يسبح في فضاء زمني غير محدود كقولهم موعد العرس الخريف ،مع أن فصل الخريف يمتد لثلاث شهور كاملة.

كما سجلنا نوع من التراتبية في الحضور القيمي و التموقع التي نعتقد أنه جرى توارثها في المخيال المجتمعي الجزائري،ونشير في هذا الصدد إلى أن كثيرا من التمثلات الاجتماعية الآنية ما هي إلا استمرار لمثيلاتها من عهود قديمة ،وكمثال عن ذلك تمثل الفرد و المجتمع الجزائري لمفهوم الدولة و التي تبدو عنده وفيه كمرادف للقهر و الظلم والتعسف. هذه الصورة التي يرجع كثير من السوسيولوجيين تكونها إلى العهد العثماني الذي تعاظمت فيه الإتاوات و الضرائب وكرسها بعده الاستعمار الفرنسي الذي زاد من عبء تلك الضرائب وزاد عليها ظلما و قهرا ومصادرة الممتلكات و الحريات، و قد كان الاثنين (السلطة العثمانية والسلطة الإدارية الاستعمارية) يمثلان الدولة .في حين نجد **مالك بن نبي** يذهب في تاريخ تلك الصورة إلى تاريخ أبعد من ذلك عندما يرجعها إلى مرحلة ما بعد الدولة الموحدية في بلاد المغرب العربي و قد انجر عن ذلك حالة من الخلل والاهتزاز في العلاقة التي تنظم علاقة كل من الفرد و المجتمع بالنظام عموما وبالمؤسسات الرسمية خصوصا.

على صعيد الفرز المسطح كشفت الدراسة عن بروز ثلاث قيم تنموية بشكل كبير وذلك قياسا إلى مثيلاتها ضمن مجموعتها القيمية و يتعلق الأمر بقيم : التخطيط ، العمل، المبادرة، وقد احتلت المراتب الثلاث الأولى بل إن وزنها النسبي مجتمعة اقترب من نصف القيم التنموية 42.52% .أما درجة البروز المحتكمة إلى العدد المطلق فقد أفرزت عن تقسيم من ثلاث صفوف ،قيم الصف الأول و تمثلها القيم الثلاث الأولى ،التخطيط،العمل ، المبادرة ، وهذه ذات الحضور القوي ثم قيم الصف الثاني ذات الحضور المتوسط و تمثلها سبع قيم كاملة و هي الاستقلالية و تحمل المسؤولية ،الإصرار و المثابرة ، المغامرة والتغيير ، التقشف تقدير الوقت، الادخار ، المشاركة و الروح الجماعية .وقد انحصرت أوزانها النسبية بين 10.26% كحد أقصى 4.91% كحد أدنى وأخيرا قيم الصف الثالث وضمت قيمتين فقط هما التفاؤل والطموح، والاستثمار وهذه القيم ذات الظهور الضعيف. وإننا نعتقد أن هذا التراتب في الظهور و الحضور خاصة لقيم التخطيط و العمل معقول إلى حد ما .فبديهي أن تحضر قيمة العمل كقيمة حركية أو محركة للتاريخ إذا استعرنا المفهوم من **كارل ماركس** فالعمل قناة الإنسان لضمان وجوده و تأكيد وجوده في ذات الوقت ،لذلك وجدناه في الأمثال الشعبية حاضرا دوما بصيغة التأكيد عبر المفرد المخاطب فنجد مثلا:

- **اخدم بسوردي و حاسب البطال**
- **اخدم يا صغري لكبري**

و قليل ما وجدناه في صيغة تقريرية مثل:

- **معاونة النصارى ولا القعاد خسارة.**

ونسجل في هذا الإطار ذلك الحضور القوي لقيمة التخطيط وهذا أمر جيد ،لما لقيمة التخطيط من أهمية بالغة توجيه في الأفعال الإنسانية وجهة سديدة تقترب به من ما يطلق عليه **ماكس فيبر** السلوك الرشيد وهو السلوك الذي يسمح لصاحبه من الاستثمار والاستغلال الأمثل لكل المقومات و الطاقات المتوفرة بين يديه لبلوغ أقصى ما يمكن بلوغه. إن هذه القيمة بمثابة البوصلة التي يحدد من خلالها الفرد مساره وهدفه . و على ضوء عمليتي التحليل والتأويل السابقتين وعلى ضوء مناقشة تساؤلات الدراسة يمكن أن نؤكد أن حضور قيم التنمية في المثل الشعبي بوصفه ممثلا عن التراث الشعبي بمنطقة بسكرة،كان حضورا قويا إلى أبعد الحدود،وهذا بغض النظر عن التوزيع التفصيلي لقيم التنمية ،وعليه فإن الحضور كان جيدا و التوزيع القيمي كان متفاوتا ،حيث حضرت بعض القيم بقوة ، وهي : العمل ، التخطيط، المبادرة و كان حضور بعض القيم الأخرى متوسطا و يتعلق الأمر بقيم الاستقلالية وتحمل المسؤولية ،الإصرار و المثابرة ، المغامرة و التغيير ، التقشف ، تقدير الوقت ، الادخار ،المشاركة والروح الجماعية، كما سجلت الدراسة حضورا ضعيفا لقيم أخرى و يتعلق الأمر بقيمتي : التفاؤل و الطموح و الاستثمار .

أما الإفرازات العامة للدراسة فيمكن أن نحملها في النتائج التالية التي نوردها في شكل نقاط:

1- حضرت كل القيم التنموية المدرجة ضمن صنافة القيم و عددها اثنتي عشر قيمة .
2- احتلت قيم التنمية المبثوثة في الأمثال الشعبية مواقع مختلفة،حيث حقق بعضها مواقع متقدمة و مهمة و درجات حضور قوية بينما حقق بعضها الأخر مواقع متأخرة و درجات حضور ضعيفة .
3- كانت قيمتي التخطيط و العمل أكثر القيم التنموية بروزا و حضورا في الأمثال الشعبية.
4- ارتبط ظهور القيم التنموية ذات النزعة الحركية كالمبادرة و المغامرة و التغيير بالفئات العمرية الصغرى .
5- اتجهت القيم التنموية المحتواة في المثل الشعبي المتداول في منطقة بسكرة نحو التنوع من حيث المجالات و المواضيع التنموية حيث غطت أبعادا متعددة من التنمية.
6- أفصحت السطوة المجتمعية عن نفسها بقوة من خلال تباين التمثلات الاجتماعية للقيم التنموية من طرف الجنسين.
7- كشفت القيم التنموية في ظهورها عن نزوع نحو التجاور مبدأه الأساس التشابه و الاقتراب القيمي حيث تلازمت في الحضور والظهور قيمتي التخطيط و العمل و قيمتي الاستقلالية وتحمل المسؤولية و الإصرار و المثابرة.
8- كشفت الدراسة عن سلسلة قيمية مبتورة على مستوى شدة الحضور القيمي حيث ظهرت قيم التخطيط ،العمل ، المبادرة ثم الادخار بأوزان نسبية جيدة إلى مقبولة لكن السلسلة لم تكتمل بنفس القوة عندما جاء ظهور قيمة الاستثمار ضعيفا و دون مستوى.
9- كشفت الدراسة عن أنه لا يمكن تحليل الظهور القيمي دونما رجوع إلى تاريخ البنى الاجتماعية و الاقتصادية للمجتمع .
10- بينت الدراسة حضور بعض ملامح البيئة المحلية في الأمثال الشعبية سواء تلك التي اتخذت شكل الأدوات المادية مثل **الكسكاس،النيلة، القافلة ،الفارس، الغزال...الخ** أو تلك المتعلقة بالحياة الاجتماعية و التنظيم الاجتماعي ،الأسرة ،العائلة، العرش، الموالي... الخ.
11- كشفت الدراسة عن بعض ملامح اللسان المحلي (منطقة بسكرة) الذي بدا متمايزا إلى حد ما و ذلك من خلال تباين التعبير عن ذات القيمة بين الجهات الخمس التي غطتها استمارة جمع الأمثال الشعبية.

12- كشفت الدراسة عن استمرارية المثل الشعبي في الحضور في عالم يبدو مختلفا تمام الاختلاف عن ذاك الذي سيق فيه لأول مرة ،وهذا يثبت و يتوافق مع المدخل المنهجي المتبنى من طرف الباحث وهو المدخل الوظيفي ،حيث أن استمرار المثل الشعبي في الحضور معناه تأدية وظيفة ما.

13- كشفت الدراسة عن انخراط التراث الشعبي في آلية التوارث و التوريث الاجتماعي و يثبت ذلك الحضور القوي للقيم التنموية بوجه خاص ولباقي القيم بوجه عام لدى الفئات العمرية الصغيرة و بالأخص الفئة العمرية [16-25] .

14- كشفت الأمثال الشعبية ولو بشكل غير مباشر عن التمثلات الاجتماعية لبعض المهن.

15- كشفت الدراسة من خلال الأمثال الشعبية عن إمكانية الانطلاق من الثقافة المحلية في صياغة مشروع تنموي وذلك على اعتبار وجود أرضية قيمية تنموية مقبولة إلى حد بعيد شريطة تنقيتها من الشوائب السلبية .

16- بينت الدراسة وجود جوانب قيمية سلبية يمكن أن تعرقل القيم التنموية في عملية انتشارها الأفقي و العمودي (الكمي و المستوياتي) و يتعلق الأمر على الخصوص بقيم الجمود و القدرية الكسل ، الحظ،و قد تجلت من خلال قيم كثيرة جدا على شاكلة:

- **إلي عطاه العاطي ما يشقى ما يباطي**
- **الدنيا للغنيا و لآخرة للمرابطين**
- **إذا عاكساتك الأيام ساميها و أرقد**
- **إلي غاب كبيرو راح تدبيرو**
- **أخدم يا التاعس للراقد الناعس**

و كلها قيم من شأنها أن تحد من الإرادة الإنسانية و تكبل انطلاقها، و مثلها أيضا قيمة العصبية التي تعرقل التنمية بوجه عام عندما تضيق دائرة التواصل الاجتماعي و تهمش دور الحضور المؤسساتي وفاعليته وذلك عندما تجعل الولاء للقبيلة و العرش على حساب المؤسسات الرسمية و تكرس ظاهرة المحسوبية و الجهوية على حساب الكفاءة والإبداع و قد تجلت هذه القيمة السلبية من خلال أمثال شعبية كثيرة من بينها:

- **أنا و خويا على بن عمي و أنا و بن عمي على البراني**
- **خوك خوك لا يغرك صاحبك**
- **تبع الطريق ولو دارت و خوذ بنت عمك و لو بارت**

17- كشفت الدراسة في مجملها عن أهمية المحددات الثقافية للتنمية، و قد أكد ذلك التراث الشعبي و المثل الشعبي ،تلك الأهمية التي تضاف إلى أهمية اقتصاد المواقع الرمزية الذي ما فتئ يعزز مكانته في عالم العولمة الموحي بالابتعاد المتسارع عن أشكال ونماذج الحياة التقليدية لكنه في الواقع يتحرك بها عبر توظيفه لعناصرها.

المراجع :

1) عبد المالك مرتاض ، العامية الجزائرية،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر ،1981،ص111.
2) التلي بن الشيخ ،منطلقات التفكير في الأدب الشعبي،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1990،ص20.
3) الطاهر الإبراهيمي ،خديجة لبيهي،"المرأة كموضوع للعنف الرمزي في الأمثال الشعبية"مجلة علوم الإنسان و المجتمع جامعة بسكرة،عدد 05،مارس 2013،ص160
4) خليل المعايطة وآخرون،مدخل إلى الخدمة الاجتماعية،دار الفكر،عمان،الأردن ، د ت ،ص136.
5) المرجع نفسه، ص137.
6) فاروق أحمد مصطفى،مرفت العشماوي،دراسات في التراث الشعبي ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 2008، ص 31.
7) محمد الجوهري و آخرون. **النظرية في علم الفلكلور**، الأسس العامة و دراسات تطبيقية ، مطبوعات مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية ، القاهرة 2003.ص 09.
8) محمد الجوهري،" التراث الشعبي بين الفلكلور و علم الاجتماع"،مجلة التراث و المجتمع، عدد 1،مجلد 15، نيسان أبريل 1975.ص 145.
9) عمر الساوريسي:،"ماهية الفلكلور" ،مجلة الفنون الشعبية ،عدد 1 ،دائرة الثقافة و الفنون الأردنية ، العدد الأول ،كانون الثاني 1974.ص 07.
10) فوزي العنتيل: الفولكلور .ماهو؟، دار المسيرة ،بيروت، ط2 1987،ص 35.
11) إبراهيم أبو سنة ، فلسفة المثل الشعبي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1968.ص 26.
12) فوزي العنتيل ، بين الفولكلور و الثقافة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1978، ص 311.
13) التلي بن الشيخ:منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986.ص 19.
14) المرجع نفسه، ص 20.
15) سعيد سبعون،حفصة جرادي، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات و الرسائل الجامعية في علم الاجتماع، دار القصبة للنشر، الجزائر،2012 ص229.